نقش صبيا: دراسة تحليلية

د. محمد بن عائل الذيبي (*)

أستاذ مشارك - قسم الآثار- كلية السياحة والآثار - جامعة الملك سعود

على الرغم من تميز منطقة جازان التي تقع في الجزء الجنوبي الغربي من المملكة العربية السعودية، بين دائرتي عرض (١٦ درجة– ١٧ درجة) شمالاً، وخطي طول (٤٢ درجة- ٤٣ درجة) شرقاً، في السهل الممتد بين جبال السروات شرقاً والشواطئ الشرقية للبحر الأحمر غرباً (خارطة: ١).

نقول تتميز بثرواتها الطبيعية، وموقعها الاستراتيجي[١]، فهي تقابل الشواطئ الشرقية للقارة الأفريقية، حيث جاء أقدم إنسان معروف حتى الآن، وعلى الرغم من هذه المميزات، إلا أن أقدم دليل على استيطان الإنسان لها، كما دلت الأبحاث الحديثة، يعود إلى الألف الثالث قبل الميلاد[٢]، ومنذ ذلك التاريخ لم يفكر قاطنها الأول على تركها، فقد جذبته بثرواتها ومميزاتها البرية والبحرية.

فانتشرت المواقع التي استوطنها الإنسان داخل المنطقة، أبرزها موقعي: المنارة الأثري، الواقع على الضفة الشمالية من وادي جازان، والآخر عثر (القوز حالياً)، الذي يقع شمال مدينة جازان، وإلى الغرب من مدينة صبيا - التي يهمنا أمرها في هذه الدراسة- وتحديدًا على ساحل البحر الأحمر، وإضافة إلى هذين الموقعين هناك مضيق عبارة عن لسان بحري يسمى رأس الطرفة؛ وهو يمثل ميناء يوجد به مرسى طبيعي للسفن التجارية. والأول «المنارة»، الذي يمتد داخل اليابسة بمسافة «١٥كم» تقريبًا، أمتاز بمعثوراته الفخارية، المتمثلة في مجموعة كبيرة من الأواني والأقداح والأطباق

(*) يتقدم الباحث بالشكر لعمادة البحث العلمي بجامعة الملك سعود على دعمها مادياً هذا العمل البحثي تحت المجموعة البحثية رقم (RG 1435 - 082)

(*) The auther Would Like to extend their Sincere appreciation to the eanship of Scientific Research at King Saud University For its Funding This Research group No (RG - 1435 - 082) .

(١) فهي منطقة عبور واتصال بين من يأتي من الحجاز، وكذلك القادم من بلاد اليمن، مما أكسبها أهمية تاريخية وحضارية وتجارية.

(٢) يوريس زارينس، وآخرون، برنامج المسح الأثري الشامل لأراضي المملكة العربية السعودية «التقرير المبدئي الثاني عن مسح المنطقة الجنوبية الغربية»، **أطلال**، العدد الخامس، (١٤٠١هـ/ ١٩٨١م)، ص ص ٢٦- ٢٨.

الكبيرة، والأواني ذات المقابض الرأسية، والأوعية المزخرفة بخطوط محززة ومتعرجة بأسلوب الأبلكة، والأشكال المثلثة البارزة. وفي كسر الحجر الصابوني والأنصال المصنوعة من السبج؛ وبعض جفاء الزجاج والمعادن. أما الموقع الآخر «عثر» فقد غطت معثوراته الحضارية مساحة واسعة، شملت الكثبان الرملية العالية والساحلية، إلى جانب المسطحات المنخفضة داخل اليابسة. وهي أي المعثورات جاءت من مواد خزفية تمثلت أيضًا في الأواني ذات البطانة الحمراء والزخرفة المتعرجة والمقابض الرأسية، والأوعية ذات القواعد المستديرة[1].

ولذلك أبانت المصادر التاريخية الأخرى اللثام عن أن سكان منطقة تهامة بوجه عام كانوا يشتغلون بالتجارة، وكان الإغريق يلقبونهم ويطلقون عليهم اسم (جنادوكولبيتيا). ولعل ما دفع سكان المنطقة إلى امتهان التجارة هو الموقع الاستراتيجي للمنطقة فأصبحت حلقة وصل بين ممالك وشعوب جنوب غرب شبه الجزيرة العربية وشمالها، فاصبحت شبكة الطرق البرية، أو البحرية (الخارطة رقم ٢ ، ٣)، تمر بالمنطقة مما جعلها تحتل أهمية واضحة في الربط بين الشمال والجنوب.

كانت الطريق الساحلية تسلك مساراً بمحاذاة البحر الأحمر من الجهة الشرقية، وتبدأ من مدينة عدن ثم أبين مروراً بموضع المخنق، ثم عارة، فإلى عبرة، فالسقياء، ثم تصل إلى باب المندب، فالسحاري، ثم الخوجة، ثم الأهواب، ثم غلافقة (وهي تمثل فرضة زبيد التي تقع شرقها في اتجاه الداخل)، ثم نبعة، والحردة، والزرعة، فالشرجة التي تمثل أول محطات الطريق الساحلي التي تقع في أراضي المملكة العربية السعودية بمنطقة جازان، ومن الشرجة يصل الطريق إلى المفجر، ثم إلى القنيدرة، ثم إلى موقع عثر التاريخي غرب مدينة صبيا، ثم وادي بيض، ثم الدويمة، فإلى حمضة التي تمثل آخر محطة لهذا الطريق من محطات الطريق الساحلية في منطقة جازان، حيث تبدأ محطات الطريق بمنطقة عسير وصولاً إلى مكة المكرمة. وأول مرحلة في منطقة عسير

(١) يوريس زارينس، وآخرون، برنامج المسح الأثري الشامل لأراضي المملكة العربية السعودية «التقرير المبدئي الثاني عن مسح المنطقة الجنوبية الغربية»، **أطلال**، العدد الخامس، (١٤٠١هـ/ ١٩٨١م)، ص ٢٦؛ يوريس زارينس، عوض الزهراني، الاستكشافات الأثرية الحديثة في سهل تهامة الجنوبي موقعي «عثر» و «سهي»، **أطلال**، العدد التاسع، (١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م)، ص ص ٩٨- ١٠٠.

هي ذهبان، ثم حلي، وبعد حلي من جهة الشمال ساحل يبة، ثم قنونا، ثم قرما، ثم دوقة، ومنها إلى السرين ويلتقي طريق الساحل بالطريق الداخلي ثم يفترقان كل في اتجاه، وينطلق الطريق الساحلي من السرين باتجاه الليث، ثم الشعيبة ومنها يصل إلى مدينة جدة، ثم يواصل الطريق إلى أن يصل مكة المكرمة التي تمثل نهاية الرحلة.

أما بالنسبة للطريق الداخلية (الوسطى) فهي تهامية أيضاً، كانت المسافة فيما بينها وبين ساحل البحر والمناطق الجبلية مسيرة يوم أو نصف يوم فهي متوسطة بينهم ساحل البحر والسلسة الجبلية، كما تعرف أيضاً بالجادة السلطانية. تبدأ الطريق من مدينة تعز وبعدها ذات الخيف أولى مراحل الطريق، ومنها إلى موزع، ثم الجدون، ثم حيس، ثم زبيد وهناك تتجمع القوافل ثم تنطلق في مسيرتها قاصدة مكة مروراً بفشال، فالقحمة، فالكدراء، ثم الهجم، ثم مور، فالواديين، وصولاً إلى الساعد (مدينة تاريخية تقع في وادي حرض)، ومن حرض يدخل الطريق أراضي المملكة العربية السعودية بمنطقة جازان ليقطع عدة محطات تاريخية هي: تعشر، وجازان، والهجر، وبيش، ومنها إلى ضنكان التي تقع خارج منطقة جازان والتابعة لمنطقة عسير في التنظيم الإداري للمناطق في المملكة العربية السعودية، ومن موقع ضنكان يصل الطريق إلى المقعد، ثم حلي العليا، ثم يبة، ثم قنونا، ومنها إلى عشم، ودوقة، ومنها إلى السرين وهناك يلتقي الطريق الداخلية بالطريق الساحلي، ثم منها تفترق الطريقان في مسارها الداخلي إلى الليث، ثم إلى الخضراء، ثم سعيا، ومنها إلى يلملم، ثم يستمر المسير إلى أدام على بعد مرحلة واحدة من مكة المكرمة، ومن أدام يصل الطريق إلى نهايته إلى مكة المكرمة. أما بالنسبة لمناطق حضرموت وعمان فقد كانوا يسكون طريقاً ساحلياً بمحاذاة البحر العربي حتى يصلون إلى عدن ومنها يسلكون طريقي تهامة إلى مكة المكرمة[1].

النقش:

عُثر على هذا النقش - حسب سجلات متحف صبيا الإقليمي- في موقع حلة عقيبي الواقعة إلى الغرب من مدينة صبيا. وهو نقش تذكاري قصير، مكتوب بالقلم المسند،

(١) للمزيد أنظر: **آثار منطقة جازان**، سلسلة لآثار المملكة العربية السعودية، ص ص ٧٥- ٧٨؛ الزيلعي، أحمد، **مكة وعلاقاتها الخارجية**، الرياض، ١٩٨١م، ص ص ١٠٢- ١٠٣؛ الأنصاري، عبدالرحمن محمد الطيب، **المواصلات والاتصالات في المملكة العربية السعودية خلال مائة عام**، ص ص٣٠- ٣٥، الأنصاري، عبدالرحمن محمد الطيب وآخرون، **الحضارة العربية والإسلامية عبر العصور في المملكة العربية السعودية**، ص ص٢٧٠- ٢٧٣؛ سعد عبدالعزيز الراشد، درب زبيدة، الرياض، ١٩٩٣م، ص ص ٣٣- ٣٤.

بطريقة النحت الغائر، وبأسلوب الخط المستقيم، المقروء من اليمين إلى الشمال. وجاء مكتوبًا على حجر أملس، طوله «٩سم»، وعرضه «٤،٥سم»، داخل إطار؛ وظاهرة الكتابة داخل إطار بيضاوي الشكل معروفة في النقوش الثمودية[١]، والصفوية[٢]، وإلى حد ما في اللحيانية [٣]، والنبطية[٤].

وكغالبية هذه النوعية من النقوش التذكارية التي تكون قراءتها شبه مؤكدة، إلا أن الغموض يكتنف تفسيرها (لوحة رقم ١) ، وقراءته هي على النحو التالي:

ر ع ص ب ي

وهو يحتمل تفسيرين مختلفين نرجح التفسير الأول

التفسير الأول: عده نقش تذكاري قصير مكون من كلمتين، الأولى رع، وهو اسم مفرد مذكر مضاف، يعني «الراعي، الحاكم، الوالي»، إذا أخذنا بعين الاعتبار أن اشتقاقه من ر ع ى [٥]، والراعي يرعى الماشية أي «يحوطها ويحفظها»، وراعي الماشية أي «حافظها»، ويقال أيضًا رعاة للولاة. وقد وردت بهذه الصيغة حسب معلوماتنا، فقط في النقوش اللحيانية[٦]. أما الكلمة الثانية المكونة من ثلاثة أحرف، فتقرا بسهولة ص ب ي، ولعله الصيغة القديمة لاسم المكان المعروف حاليًا بصبيا، التي تقع إلى الشمال الشرقي من مدينة جازان، وهي العاصمة التاريخية للمنطقة، في السهل الممتد بين جبال السروات شرقًا والشواطئ الشرقية للبحر الأحمر غربًا. وعلى الرغم من الموقع صبيا

(١) الذييب، سليمان، **دراسة لنقوش ثمودية من جبة بحايل المملكة العربية السعودية**، الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنية، ٢٠٠٢م، ص ١٦٩، نقوش١٠١، ١٠٢.

(٢) الذييب، سليمان، **نقوش صفوية من شمال المملكة العربية السعودية**، الرياض، مؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية، ٢٠٠٣م، ص ٢٢٢، نق٦٢.

(٣) أبو الحسن، حسين بن علي، **نقوش لحيانية من منطقة العلا «دراسة تحليلية مقارنة»**، الرياض، وزارة المعارف، وكالة الوزارة للآثار والمتاحف، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م، ص ٣٥٦.

(٤) الذييب، سليمان بن عبدالرحمن، **مدونة النقوش النبطية في المملكة العربية السعودية**، الرياض، دارة الملك عبدالعزيز، ٢٠١٠م، النقوش: ٤٦٣، ٧٨٣، ٦٦٢.

(٥) محمد بن مكرم علي بن منظور، **لسان العرب المحيط**، تقديم: الشيخ عبدالله العلايلي، إعداد وتصنيف: يوسف خياط، بيروت، دار لسان العرب، ص ١١٨٧، (مادة: ر ع ى).

(٦) أبو الحسن، حسين بن علي، **نقوش لحيانية من منطقة العلا «دراسة تحليلية مقارنة»**، الرياض، وزارة المعارف، وكالة الوزارة للآثار والمتاحف، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م، ص ٣٥٦.

الاستراتيجي، إذ لا تبعد إلا «٢٦» كيلاً عن البحر الأحمر[١]، والعمق التاريخي الواضح من خلال ما كُشف فيها من مواقع تعود إلى العصر الحجري الحديث، وتحديدًا في جبل «عكوة» الذي يقع شرق المدينة، وتلك المواقع التي عُثر عليها في المدينة الصناعية الحالية بالمحافظة، واستمرار هذا الاستيطان إلى العصور التاريخية بدليل النقوش العربية القديمة (المسند الجنوبي)، إلا أننا نستطيع القول أن أقدم ذكر لها كان من قبل الهمداني، الذي عدها مدينة عامرة من المدن التهامية[٢]، كما ورد ذكرها أيضاً في المصادر الجغرافي عند ياقوت بن عبدالله الحموي[٣]. وتكمن أهمية هذا النقش أن صح تفسيرنا أعلاه في أمرين هامين، أولهما ظهور الاسم المفرد رع أي «الحاكم، الوالي»، للمرة الأولى في النقوش العربية الجنوبية. وثانيهما تأكيد العمق التاريخي للاسم صبيا، مرة أخرى أن صح ربط صيغة ص ب ي، بالمحافظة صبيا.

التفسير الثاني:

عده علم مركب على صيغة الجملة الاسمية، من عنصرين الأول رع[٤]، والثاني ص ب ي، ويعني «الصبي، الشاب الراعي، الحكيم»، باعتبار أن اشتقاق ر ع من رع ي (انظر أعلاه). ص ب ي علم بسيط على وزن فَعْل، يعني «الشاب، الغلام، الصبي»، ورد بصيغته هذه في النقوش اللحيانية (JS.497; Harding،1971، p. 367)[٥]. أما في الكتابات السبئية فجاء بصيغة مشابهة هي: ص ب ا (C.3583; Harding،1971، p. 365.)[٦]. على كل حال قد يفسر البعض هذا العلم المركب على أساس أن عنصره الأول على علاقة بالمعبود المصري المعروف ر ع، وهو إله الشمس، لكننا لا نميل إلى هذا

(١) الربدي، محمد صالح، **دراسات في سكان المملكة العربية السعودية**، الرياض، شركة مرينا للخدمات الطباعية، ١٤١٥هـ/٢٠٠٥م، ص ٤١١؛ **آثار منطقة جازان**، سلسلة لآثار المملكة العربية السعودية، الرياض، وكالة الآثار والمتاحف، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م، ص ص٢٠-٢١.

(٢) الهمداني، الحسن بن أحمد بن يعقوب، **صفة جزيرة العرب**، تحقيق: محمد بن علي الأكوع الحوالي، الرياض، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م، ص ٧٦، ١١٦، ٢٥٩، ٣٨١.

(٣) الذي أشار إلى أن صبيا بفتح الصاد المهملة وسكون الموحدة وآخرها ألف. أما ياقوت الحموي فقد أشار بعد قرنين من الهمداني إلى أن صبيا في باب الصاد والباء وما يليهما، ياقوت بن عبدالله الحموي، **معجم البلدان**، ج٣، بيروت، دار صادر، ١٩٩٦م، ص ٢٩٣.

(٤) ولعلنا نشير إلى أن رع، ورد علم لشخص بصيغة ر ع ا ل، أي "المعبود إيل هو الراعي" في النقوش السبئية (C.1368)، والصفوية (WH 2694).

(5) Harding, G. L.,An Index and Concordance of Pre – Islamic Arabian Names and Inscriptions, Toronto, 1971, p. 281; 367.

(6) Harding, G. L., Ibid, p. 365.

الترجيح، لأن النقش يعود إلى فترة تاريخية متأخرة نسبيًا، عن هذا المعبود المصري المعروف[1]، وان صح هذا القول فهو يؤكد مدى التأثير المتبادل بين شبه الجزيرة العربية ومصر الفرعونية، لهذا التأثير المتبادل[2].

(١) أدولف إرمان، **ديانة مصر القديمة**، ترجمة: عبدالمنعم أبو بكر، القاهرة، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٧م، ص ص٦٠- ٦٣، ٧٥- ٧٨، ١١٨- ١٢٢؛ مانفرد لوركر، **معجم المعبودات والرموز الدينية في مصر القديمة**، ترجمة: صلاح الدين رمضان، القاهرة، مكتبة مدبولي، ٢٠٠٠م، ص ١٤١، ١٦٥-١٦٦؛ جورج بوزنر، **معجم الحضارة المصرية القديمة**، ترجمة: أمين سلامة، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٢م، ص٩٠، ١٢٩؛ برت إم هرو، **كتاب الموتى الفرعوني**، ترجمة: فيليب عطية، القاهرة، مكتبة مدبولي، ٢٠٠٠م، ص ص ٧- ١١، ١٣٣- ١٣٦؛ السير ولس بدج، **الديانة الفرعونية**، عمان، دار منارات، ١٩٨٥م، ص ص ٥٩-٧٠، ١٢٢-١٣٣.

(٢) السعيد، سعيد، **العلاقات الحضارية بين الجزيرة العربية ومصر في ضوء النقوش العربية القديمة**، الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنية، ٢٠٠٣م.

قائمة بالمراجع والمصادر

- أبو الحسن، حسين بن علي، **نقوش لحيانية من منطقة العلا «دراسة تحليلية مقارنة»**، الرياض، وزارة المعارف، وكالة الوزارة للآثار والمتاحف، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.
- آثار **منطقة جازان**، سلسلة لآثار المملكة العربية السعودية، الرياض، وزارة المعارف، وكالة الآثار والمتاحف، ١٤٢٣ه-٢٠٠٣م.
- إرمان، أدولف، **ديانة مصر القديمة، ترجمة:** عبدالمنعم أبو بكر، القاهرة، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٧م.
- الأنصاري، عبدالرحمن محمد الطيب، **المواصلات والاتصالات في المملكة العربية السعودية خلال مائة عام**، ج١، الرياض، ١٩٩٩م.
- الأنصاري، عبدالرحمن محمد الطيب وآخرون، الحضارة العربية والإسلامية عبر العصور في المملكة العربية السعودية، الرياض، ١٤٣٤هـ.
- بدج، السير ولس، **الديانة الفرعونية**، عمان، دار منارات، ١٩٨٥م.
- بن منظور، محمد بن مكرم علي، **لسان العرب المحيط**، تقديم: الشيخ عبدالله العلايلي، إعداد وتصنيف: يوسف خياط، بيروت، دار لسان العرب.
- بوزنر، جورج، **معجم الحضارة المصرية القديمة**، ترجمة: أمين سلامة، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٢م.
- الذييب، سليمان بن عبدالرحمن، **نقوش صفوية من شمال المملكة العربية السعودية**، الرياض، مؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية، ٢٠٠٣م.
- الذييب، سليمان بن عبدالرحمن، **دراسة لنقوش ثمودية من جبة بحايل المملكة**

العربية السعودية، الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنية، ٢٠٠٢م.

- الذييب، سليمان بن عبدالرحمن، **مدونة النقوش النبطية في المملكة العربية السعودية**، الرياض، دارة الملك عبدالعزيز، ٢٠١٠م.
- الراشد، سعد بن عبدالعزيز، **درب زبيدة**، الرياض، ١٩٩٣م.
- الربدي، محمد صالح، **دراسات في سكان المملكة العربية السعودية**، الرياض، شركة مرينا للخدمات الطباعية، ١٤١٥هـ/٢٠٠٥م.
- الزيلعي، أحمد، **مكة وعلاقاتها الخارجية**، جامعة الرياض، الرياض، ١٩٨١م.
- السعيد، سعيد، **العلاقات الحضارية بين الجزيرة العربية ومصر في ضوء النقوش العربية القديمة**، الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنية، ٢٠٠٣م.
- لوركر، مانفرد، **معجم المعبودات والرموز الدينية في مصر القديمة**، ترجمة: صلاح الدين رمضان، القاهرة، مكتبة مدبولي، ٢٠٠٠م.
- هرو، برت إم، **كتاب الموتى الفرعوني**، ترجمة: فيليب عطية، القاهرة، مكتبة مدبولي، ٢٠٠٠م.
- الهمداني، الحسن بن أحمد بن يعقوب، **صفة جزيرة العرب**، تحقيق: محمد بن علي الأكوع الحوالي، الرياض، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.
- ياقوت بن عبدالله الحموي، **معجم البلدان**، ج٣، بيروت، دار صادر، ١٩٩٦م.
- يوريس زارينس، وآخرون، برنامج المسح الأثري الشامل لأراضي المملكة العربية السعودية «التقرير المبدئي الثاني عن مسح المنطقة الجنوبية الغربية»، **أطلال**، العدد الخامس، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

❖ يوريس زارينس، عوض الزهراني، الاستكشافات الأثرية الحديثة في سهل تهامة الجنوبي موقعي «عثر» و «سهي»، **أطلال**، العدد التاسع، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

❖ Harding, G. L.,An Index and Concordance of Pre – Islamic Arabian Names and Inscriptions, Toronto, 1971.

اللوحات

(خارطة ١): المناطق الإدارية بالمملكة العربية السعودية

http://www.alraidah.com.sa/AboutKSA/Pages/BasicInfo.aspx

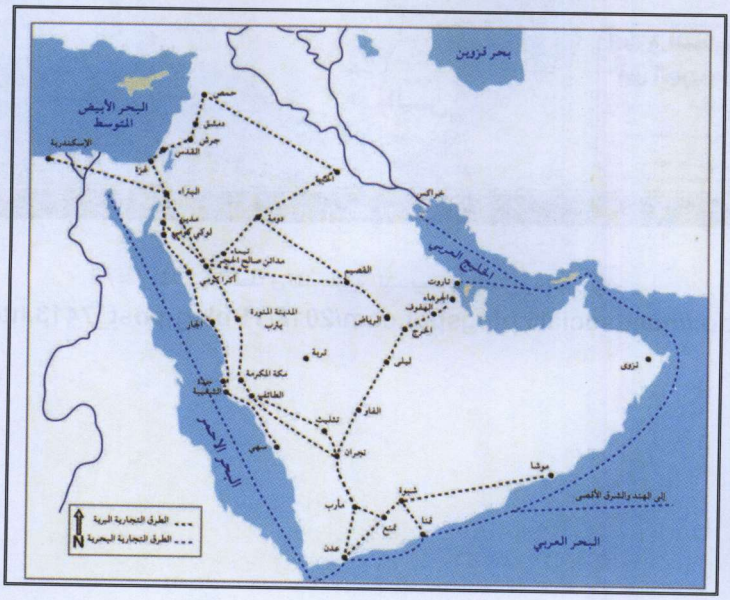

(خارطة ٢): الطرق التجارية البرية والبحرية في الجزيرة العربية.

عبدالرحمن محمد الطيب الأنصاري، الحضارة العربية والإسلامية عبر العصور في المملكة العربية السعودية.

(خارطة ٣): الطرق التجارية القديمة في الجزيرة العربية.

http://majdsocial5.blogspot.com/2012/11/blog-post_7413.html

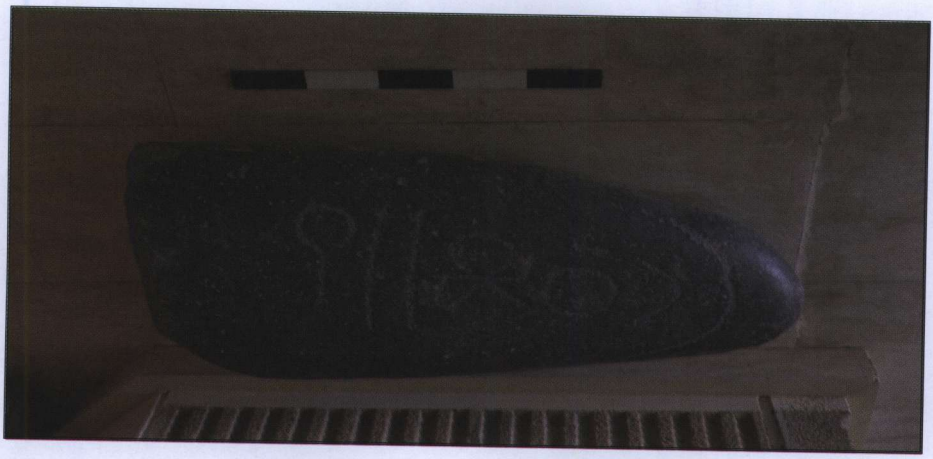

(لوحة رقم ١): النقش العربي بالخط المسند. وجد النقش في حلة العقيبي أحد ضواحي مدينة صبيا.

متحف مدينة صبيا.

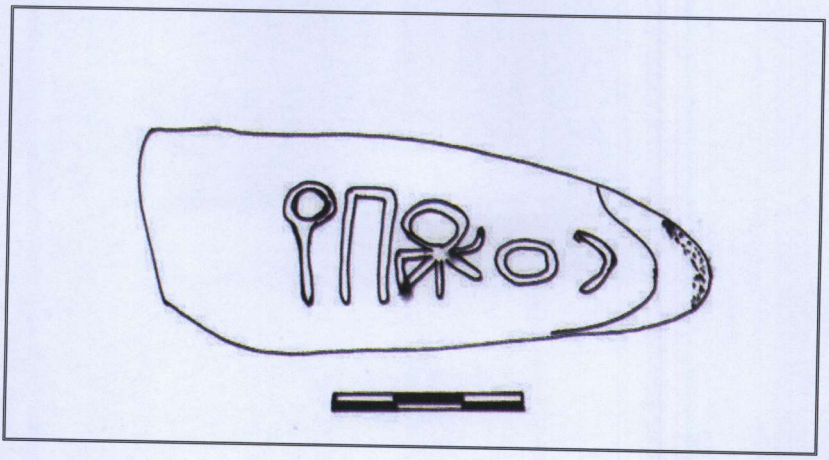

لوحة تفريغ النقش، متحف مدينة صبيا.